من قضايا اللغة العربية

العربية ومشاكلها في مجال المصطلحات العلمية
(مناقشة حال هذه المصطلحات بين التعريب والوضع)

للأستاذ أحمد شفيق الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة أستاذنا الموقر الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع .

السيدات والسادة والعلماء الأكارم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تمهيد :

كتبَ شيخُ العربية الحديثة أحمد فارس الشدياق في تقديمه للطبعة الأولى من لسان العرب أواخر القرن التاسع عشر يقول:

" وبعدُ ، لقد اتفقت آراء الأمم ، العرب منهم والعجم ، الذين مارسوا اللغات ودروا ما فيها من الفنون والحكم وأساليب التعبير عن كل معنى يجري على اللسان والقلم ، على أن لغة العرب أوسعها وأسنعها ، وأخلصها وأنصعها ، وأشرفها وأفضلها ، وآصلها وأكملها . وذلك لغزارة موادها واطراد اشتقاقها وسَرادة جُوادها واتحاد انتساقها ... مما لا تجد له في غيرها من لغات العجم شبيها".

وكتب أُسقُفُ قُرطُبة، أكبر مدن أوربا في القرن العاشر ، يقول: " إن اللغة العربية قد فتنتنا بعذوبة ألفاظها وبلاغة إنشائها حتى لا نكاد نجد فينا من يقرأ الكتب المقدسة باللاتينية . وشبابنا الأذكياء جميعًا لا يعرفون غير لغة العرب وآدابهم ؛ وكلما قرأوا كتبها ودرسوا آدابها ازدادوا إعجابًا بها . فإذا حَدَّثْتَهُم عن كتاب من الكتب اللاتينية سخروا منه وقالوا إن الفائدة منه لا تساوي التعب في قراءته . وهكذا نسي المسيحيون لغتهم وجهلوا كتابتهم وبلاغتها وحذقوا اللسان العربي - حتى ليكتبونه نثرا ونظما بأسلوب أنيق يفوقون به العرب أحيانًا ".

وفي إشارة إلى هذه الفترة من ازدهار الحضارة العربية واللغة العربية تقول

(*) ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة الثامنة يوم السبت ١٥ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٤ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

الكاتبة زيغريد هونكه في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب " :"لقد أضحت العربية لغة العلماء بل لغة الشعوب التي دخلها الإسلام ، وكانت لغة العلم وحدها لا تنازعها تلك المكانة أي لغة أخرى . لقد استطاعت العربية استيعاب جميع العلوم التي بلغتها الحضارات التي سبقتها - مضيفة إليها علوما جديدة بمصطلحات ومفاهيم جديدة . وفيها كانت تؤلف الكتب ، وبها يتحدث العلماء ويديرون الحوارات في ما بينهم مهما اختلفت أصولهم ".

١- والأدلةُ على المكانة العلمية للغة العربية حينئذ لا تُعوِزُنا - فهناك مئات الألفاظ في الفلك والصيدلة والكيمياء والطب والفيزياء والجغرافية والرياضيات التي أخذتها اللغاتُ العلمية والغربية عنها ؛ وكذلك المؤلفات التي ظلّت تُدرَّس في جامعات أوربا طوال عِدّة قرون .

ولستُ أقصدُ بهذه المقولات انفعالا عاطفيا يذكر بمقولة البيروني الفارسي الأصل "وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت في الأفئدة ، وسرت محاسنها في الشرايين والأوردة ... إلى أن يقول " والهجو بالعربية أحب إلّي من المدحِ بالفارسية ".

فكل ما أريد أن ألفت إليه هو أن المشكلات التي تواجه العربية في مجال "اللغات العلمية " اليوم ليس سببها عجز اللغة العربية أو قصورا جوهريا في خصائصها . إنما العلة أو العلل ، في أهلها - في العرب العربانيي النزعة ، في استراتيجياتهم القبلية والإقليمية الضيقة وتجاهلهم منطق العلم والتاريخ ، وفي بيئة الجمود والاتكالية الغيبية ومختلف عوامل الوهن القومي والاجتماعي والسياسي الذي أخذ يطغي على الوطن العربي منذ أواخر العهد العباسي ومراحل الانحطاط التي أعقبته ، بخاصة بعد الاكتساح المغولي - مما عطل قوى الإبداع والمسار العلمي والأنشطة الرائعة التي كانت العربية أداتها كلها .

وزاد الطين بلة مجيء العثمانيين ليبسطوا سلطانهم وسياساتهم التتريكية والتجهيلية على الوطن العربي ويجعلوا التركية لغة الدواوين ودوائر الدولة

والمـــدارس - عـــلى نُدرتها وأساليبها في تدريس كُلّ المواد، حتى مادة اللغة العربية، بالتركـــية ، في كتب وضعت بالتركية ، وعلى يد معلمين أتراك غالبا . ولا تسل عن مناخ الجهل الدامس الذي راح يتزايد ويعـــم حـــتى شمل البلاد والعباد باستثناء بعض الأديرة والجوامع .

وتُشـــيرُ إحصـــاءاتُ اليونسكو أنه بســـبب هذا الركود - حتى أوائل القرن العشـــرين - لم يدخل اللغة العربية سوى خمسين مصطلحًا .

الذيـــن يلومون العربية ومصطلحاتها لعـــلهم يتناســـون أن اللغـــة إنما تعكس أوضـــاع الأمـــة وحيويـــتها وإنجازاتها وسلطانها - هكذا كان شأن اليونانية أيام الإغـــريق ، واللاتينـــية في عهد قيصر ، والعربية في زمن بني العباس ، والإنكليزية الأمريكية في أيامنا هذه .

العربية في بدايات عصر النهضة الحديثة:

مـــع بدايـــات عصر النهضة الحديثة أوائـــل القـــرن الماضي بخاصة ، انطلقت العربية تأخذ طريقها مجددا إلى دنيا العلوم الحضـــارية نتـــيجة للتحولات السياسية والاجتماعـــية والثقافية والاقتصادية التي أحدثتها الاحتكاكات بالغربْ في مختلف المجالات . وقد بدأت تباشير هذه النهضة مشـــرقيا في موقعـــين كانـــا دوما أرضا خصـــبة للانبعاث والتطور - عنيت مصر ومنطقة شمالي سوريا ولبنان.

فإثـــر الحملة النابليونية الفرنسية التي فتحـــت الأعين ، بخاصة أعين الحكام ، عـــلى الحضارة الأوربية ، وما أن تسلم محمـــد عـــلي مقاليد السلطة في مصر ، حـــتى عكـــف عـــلى نقل مدنية الغرب عن طريق البعثات والمعاهد والترجمات . وكـــان طبيعـــيًا أن تـــتخذ معـــاهد محمـــد علي القاهرية ، منذ تأسيسها عام ١٨٢٥م ، في الطـــب والهندسة والزراعة والعســـكريات ، اللغـــة العربـــية وسيلة لهـــا في تعلـــيم المـــناهج عـــلى كـــل المستويات .

لقد جعل محمد علي الترجمة إحدى وســـائله العملـــية لـــنقل علوم الغرب وحضـــارته ، فأســـس قلم الترجمة عام ١٨٤١م ، وكـــان يفرض على المدرسين وتلامـــيذ البعثات أن يترجموا الكتب التي

تعـين لهـم وأن تكـون ترجماتهم متقنة وسليمة من الخطأ .

ومن المعالم المشهودة في هذه الفترة ما تم بجهـود كلـية الطب في القاهرة التي بدأت تدريس الطب بالعربية عام١٨٢٦م. فقـد شـعر ناظـرها الدكـتور بيرون ومسـاعدوه ، بمسيس الحاجة إلى ترجمة معجم شامل في العلوم الطبية - فاستحضر مـن باريس "قاموس القواميس الطبية " لفابـر ، في ثمانية مجلدات ، تشمل جميع الاصـطلاحات العلمية والفنية في الطب والنبات والحيوان والعلوم الأخرى .

وقـد تعاونـت مدرسة الطب بكل هيـئاتها عـلى ترجمة هذا القاموس إلى العربية، فوزعه الدكتور بيرون على مهرة المدرسين (بإشراف أستاذه في العربية محمد عمـر التونسي) لينجز كل منهم قسما مـنه. ولم يكتف الدكتور بيرون بذلك ، بل أراد أن يكون القاموس الجديد جامعا أيضًا للألفاظ والمصطلحات الطبية القديمة. فـأتى بالقـاموس المحيط للفيروزأبادي ، ووزعه على أفراد الهيئة ، وأمر كلا منهم أن يراجع الجزء الذي بيده ، وينتقي منه كل لفظ دل على مرض أو عرض ، وكل اسم نبات أو معدن أو حيوان .

ولم تكـن جهـود الرواد في الكلية السـورية الإنجيلية (الجامعة الأميريكية في بيروت لاحقا) ، أواسط القرن الماضي ، أقـل شـأنا . فقـد كانـت مؤلفات المستشـرقين الأمـريكان ، مـن أمثال كرنيلـيوس فـانديك ويوحـنا ورتبات وجورج بوست ، بمعاونة أساتذتهم العرب مـن أمـثال بطرس البستاني واليازجيين ناصيف وإبراهيم ، ويوسف الأسير وأحمد فـارس الشدياق ، تغطي برامج الدراسة في علوم الطب والفيزياء (الفلسفة الطبيعية حينئذ) والكيمياء والصيدلة والرياضيات والفـلك وسـواها بلغـة عربية سليمة ومستوى علمي راق قرابة ربع قرن (من ١٨٦٧ إلى ١٨٩٠) . فـلم يكن يخطر بـبال رواد النهضة ، عربا أو أجانب من المخلصين ، التدريس بغير العربية - تطبيقا لمنطق علمي نفساني صحيح .

وقد كان يرجى للغة العربية في هذا العهد أن تبلغ أعلى درجات الرقي لو أتيح لهـا أن تكـون ، وتستمر ، لسان حال

النهضة العلمية العصرية . لكن سياسات الغـــرب الـــتي تعرفونها جيدا حاليا كما سالفا، ما كانت تخطط لمثل هذا الانتعاش في مســـيرة اللغـــة العربـــية وقد أخذت تســـتوعب أســـباب الحضارة ومتطلباتها العلمية بنجاح في القاهرة وبيروت . فما أن ثبت الاحتياح البريطاني أقدامه في مصر حـــتى عرقل هذه المسيرة - أولا بتحويل الـــتدريس في مدرســـة الطب إلى اللغة الإنكليزية عام ١٨٨٧م (بعد سبعة عقود مـــن الإنجـــازات الـــرائعة - ليس أقلّها اكتشـــاف جـــرثومة البلهارسيا ودورة حـــياتها ، وهو إنجاز لما تحقق مثله أي من جامعاتنا السبعين) . ثم أكمل البريطانيون إجهـــاض المسيرة تلك ثانيا ، بقرار عام ١٨٨٩م بـــأن تكـــون لغـــة التعليم في مخـــتلف المعاهد المصرية اللغة الإنكليزية . فأغلقـــت مدرسة الألسن . ونفي رفاعة الطهطـــاوي ومؤيـــدوه إلى السودان ، ووجهت البعثات إلى إنكلترا (بدل فرنسا وإيطاليا) .

وما هو إلا عام أو بضعه ، حتى حذا الأمريكـــيون في الكلية السورية الإنجيلية حذو البريطانيين ، فتحول التدريس فيها ، أيضًا من العربية إلى الإنكليزية .

وهكـــذا حُرمـــت اللغة العربية من فُرصـــتها الذهبية ، وغُرِسَت بذور الشك والريـــبة في نفوس أبناء العربية بلُغَتِهم - بأهم مقومات أصالتهم وحضارتهم . وفي يقين الكثيرين ، ويقيني ، أنه لو استمرت جهـــود معـــاهد العلوم الطبية والهندسية والزراعـــية وسواها في القاهرة ، لتتضافر مـــع جهـــود العاملين في الكلية السورية الإنجيلية بمختلف فروعها ، معززة بجهود الميامين من رجال المعهد الطبي في دمشق الذيـــن حولـــوا ، بنجاح مشهود ، لغة الـــتدريس في ذلك المعهد من التركية إلى العربية عام ١٩١٩م - أقول ، لو تم لهذه الجهـــود أن تتضافر ، لكان حال العربية اليوم غير ما هو عليه ، ولكنا تجاوزنا منذ أجيال هذه الحلقة المفرغة التي مازلنا فيها نحوم وندور.

المشـــكلات التي تواجه العربية في مجال المصطلحات العلمية وتقلبها :

في رأيـــي هـــنالك مشكلة واحدة أساســـية تنـــبع منها كل المشكلات التي

تُواجِه اللُّغى العلمية العربيَّة اليوم - إن كانت من حيث المصطلحات وتواجدها وتقبلها ونشرها ، أو من حيث توافر المراجع العلمية العربية التي تعالج مختلف المفاهيم العلمية من كتب ودوريات ومراجع مُتجَدِّدة ، أو من حيث ضعف اللغة العلمية العربية عند غالبية المتعلمين وعدد غير قليل من المعلمين . هذه المشكلة - المشكلة الأساس ، هي تعليم العلوم بغير العربية .

وإذا نحل هذه المشكلة ، تُحلُّ مُعظَمُ تلك المشاكل ، إن لم يكن كلها تلقائيا .

إنك لا تكاد تجدُ بين أمم العالم صغيرها وكبيرها أمة تقدم العلم لأبنائها بغير لغتهم سوى في عالمنا العربي المتعثر - فلا صعوبة كتابة اللغة اليابانية والصينية ، ولا صغر حجم بعض دول أوربا ، ولا فقر بعض دول آسيا ، ولا شُحُّ مصطلحات اللغة التركية ، ولا موات اللغة العبرية طوال عشرين قرنا ، حالت دون أن تكون اللغة القومية هي لُغةَ تدريس العلوم في تلك البلاد .

في إحدى الندوات أخبرنا زميل زار شمال أوربا في جولة تربوية ، في فنلندة ، أنه في إحدى المدن ، وسكانها لا يتجاوزون الربع مليون ، ٩٣٪ منهم يتكلمون الفنلندية و٧٪ يتكلمون اللغة السويدية - وكلتاهما لغة رسمية قومية هناك كليتان للطب - إحداهما تدرس باللغة السويدية والأخرى باللغة الفنلندية .

وأذكر أن المرحوم الدكتور حسني سبح في حديث له عن "عملية تتريك التعليم - أسبابا ووسائل" ، قال:

إثر حملة تولاها من سموا فيما بعد "الطلاب المجاهدين" وأيدتها الصحافة والرأي العام، استدعى رئيس الشورى العسكرية ، أسعد باشا ، ثلاثة من كبار هيئة التدريس الأجانب وسألهم : أيها أجدى وأعود بالنفع على الأمة - التدريس بلغة أجنبية أم بلغتنا القومية ؟ فكان جوابهم الصريح : التدريس بالتركية طبعًا أجدى - فكان التتريك !

ويتابع الدكتور سبح - وهو زار الكثير من المؤسسات التربوية ، بخاصة الطبية منها ، في تركيا - ليقول : أتدرون،

إن تـــتريك الطـــب كان في الحقيقة شبه تعريـــب ، إذ إن حـــوالي ٩٠% مـــن مصطلحاتهم كانت ألفاظًا عربية .

ومـــا دمنا في مجال الحكايات فهذه حكاية معبرة أخيرة :

أوائـــل العشـــرينيات من هذا القرن افتتحت الجمعية اليهودية الألمانية " معهد التخـــنكو " في حـــيفا ، وكانت أنشأته بـــأموال ألمانـــية ، وجهود من أعضائها وخبرائها الألمان . وارتأت الجمعية جعل الألمانـــية لغـــة التدريس في المعهد ، لأن العـــبرية ليست متطورة إلى القدر الذي يســـمح باستعمالها في مجال تعليم العلوم والتكنولوجـــية . فقامـــت الدنـــيا هناك بموجـــات الاحـــتجاج وإضراب المعلمين والتلامـــيذ وبدعم من الصحافة والرأي العـــام - معتـــبرين ذلـــك إهانة قومية . واضطرت الجمعية إلى التراجع ؛ فكانت الـــدروس تترجم من الألمانية لتلقى على الطـــلاب بالعـــبرية . وأذكـــر أنـــه في الثمانينـــيات ، أي بعد حوالي نصف قرن من تأسيسه ، عقدت في هذا المعهد ندوة دولية في شـــؤون الـــذرة والنـــوويات ، وكانت العبرية لغة الندوة الوحيدة .

وبالمقـــابل فـــإن دساتير جامعاتنا في العالم العربي في غالبيتها العظمى تنص على أن لغـــة التدريس هي اللغة العربية - مع جواز استخدام لغة أجنبية في بعض المواد مؤقـــتًا إلى حـــين يتيسر تدريسها باللغة العربـــية . فكـــان الاســـتثناء أقوى من الدساتير!

اللغة العربية نالت اعتراف العالم منذ ١٩٧٣م ، وأصـــبحت لغـــة رسمية مع اللغات الخمس الكبرى في مؤسسات هيئة الأمـــم المتحدة كافة عام ١٩٨٢م ، لكن العالم العربي ، مع الأسف ، يتنكر للغته.

المســـؤولون في العالم العربي يُكثِرون الحديـــثَ عـــن التنمية في هذه الأيام ، ويُركزون مشاريعها على النواحي المادية؛ وياليـــتهم لا يتناسون أن تنمية الإنسان العربي هي الأساس في عملية التنمية ، وأن لا تنمـــية دون تعريـــب التعليم ، تعريبًا شاملا في مختلف القطاعات - لا الجامعية والأكاديمية فقط ، بل الصناعية والتجارية والزراعـــية والحياتـــية عامة ؛ وإلا كيف يصـــلُ العلمُ إلى الفلاح والنجار والحداد

والسـمكري وسائق السيارة وغيرهم من أفراد المجتمع ؟

كـيف يصـل العلمُ إلى هؤلاء إذا كانـت كليات الزراعة والصيدلة والطب والصـناعة والهندسة والكيمياء تخرج لهم مـن لا يسـتطيعون إيصال ما يتعلمونه إليهم؟

إن مسـتقبلنا العـلمي والحضاري مرتـبطان بقضية تعريب العلم والتعليم - فلا يُعقَلُ أن نخوضَ مجالات العلم الحديث ونواكـب تقاناته ونَنْعَمَ ماديا بمنجزاته ، وتـبقى لُغتُـنا غريـبة عن أجواء العلم وديناميكيته وتقنياته وإبداعه . لقد آن أن تصبح اللغةُ العلمية العربية جُزءا من حياتنا اليومـية ، في المدرسة والبيت والمصنع ، وأن تَغْـدو الثقافةُ العلميةُ جزءا من ثقافة الصـانع والطالـب والمعـلم والصحافي والأديب وصاحب الاختصاص الفني .

٢- يَدَّعـون أنهـم يُعَلِّمون بالإنكليزية حفاظًا على مستوى . لكنْ أيُّ إنكليزية هي؟ لعل أدَقّ ما قيل فيها هو ما جاءَ في مقـال لأُسـتاذنا الزميل الموقَّر الدكتور محمود مختار (في الجزء ٣٥ ص١٧٨ من مجلـة المجمـع) يقول فيه : "في الكليات العلمـية اليوم لُغة لا هي بالعربيَّة - كما تقضـي اللوائح ، وكما يجب أن يكون عليه الأمر ، ولا هي بالإنكليزية تَمشّيًا مع الاسـتثناء الوارد في اللوائح . ولكنها لغة ثنائية ، إن جاز لنا أصلاً أن نُسَمِّيها لُغة ؛ فهـي لُغة تخلِطُ بين اللغتين معًا - ويا لَيْتَه خليط مفهوم . فهو خليط عجيب بين لُغة عربية ركيكة ولُغةٍ إنكليزية أكثر ركاكةً مُنْدمَجتيْن معًا .

ويُـتابع سـيادته :"هـذه الصورة المضـحكة المبكية لما آلتْ إليه حال اللغة العلمـية اليوم في الجامعات وغيرها هي ، في نظـري ، نـاقوسُ الخطر الذي أدُقه للمجمع العريق لكي يزيد جُهودَه الموفقة الـتي بدأهـا على الطريق السَّوي خدمة للعـلم والتعليم ، وإنقاذًا للغة العلمية مما هوتْ إليه من حضيض "

والواقـع أن الـناقوس الـذي يدُقُّه الدكـتور مخـتار هـو ناقوس خطر لا لـلمجامع فقـط بل للرأي العام ولأولي الأمـر المسؤولين عن مُستقْبَل الأجيال في الوطن العربي .

إن قضية تعريب العلوم - وقد عالجها الكثيرون - تعترضها صعوبات ومُعوقات، وتتطلب جُهدًا (بل جُهودًا) دائمة ، وسعيا متصلا . لكن كل هذه الصعوبات والمعوقات تتهاوى وتذلل ، وكُلُّ الجُهودِ والمساعي تتوافرُ ، بالإرادة المصممة .

المهم أن نُريد ، وأن نبدأ بتصميم لا تراجُعَ عنهُ ولا تلكؤ فيه . ونحنُ حاليا لنْ نبدأ من الصفر ، كما كانت الحالُ عند كثير من الأمم ، فما لدينا من مؤسسات ومجامع ومعاهد ترجمة ، ومصطلحات مُستقرة وشبه مُستقرة ، وما في العربية من طواعية ومرونة وهاضمية ، وما هو مُتوافر لدينا اليوم من سُبُل اتصال وطباعة ونشر، كفيلة بإمكانية التطبيق الفوري لمخطط تدريجي يُحققُ عملية التعريب في سنين معدودات .

التعريب والوضع :

تحمل لفظة التعريب لغويا معنيين رئيسيين:

نقول : عَرَّب الكتاب والعلم - تعريبا- أي ترجمة أو نقله من لغة أجنبية إلى اللغة العربية . كما نقولُ عَرَّبَ اللفظ الأعجمي - تعريبا أيضًا - أي، نقله اقتراضا إلى اللغة العربية فكتبه ونطق به على منهاج العرب. والتعريب بهذين المفهومين هو أحد المناهج التي اعتمدها علماء العرب في بيت الحكمة، وغير بيت الحكمة ، لاستيعاب نتاج الحضارات التي سبقتهم وجَعْل العربية لغة العلم الأولى دون منازع طوال عدة قرون .

وغير خاف أنا حين نتكلم في محور بعنوان التعريب والوضع ، فإنما نشير إلى المفهوم الثاني للتعريب - التعريب الاقتراضي - كإحدى وسائل وضع المصطلحات .

لقد غدت المصطلحات اليوم ضرورة حضارية - باعتبارها مفاتيح للمعرفة الإنسانية ، في شتى فروعها ، ووسيلة التفاهم والتواصل بين الناس في مختلف المجالات العلمية والعملية . وقد انبرى المترجمون والأدباء واللغويون والعلميون والصحافيون والمعجميون ، وكذا المجامع والمؤسسات والاتحادات المهنية ، لوضع مقابلات لما يعترضهم أو يعرض عليهم من هذه المصطلحات . وهي اليوم ، بحمد

الله، تؤلف جزءا مهما من اللغة العربية، كما من كل اللغات المعاصرة - حتى لتكاد تجد معجما أو أكثر لمصطلحات كل فرع تقريبا من فروع المعرفة .

لكن المعرفة تنمو بسرعة هائلة والمصطلحات تتزايد بالعشرات يوميا - إضافة إلى المكدس منها بالآلاف ولما نعالجه.

إن وضع المصطلحات ، كما يقول الأمير مصطفى الشهابي ، سيظل مدة طويلة من الزمن عملا من عمل الأفراد قبل أن يكون من عمل المجامع اللغوية والعلمية نفسها . لذا من الضروري تحديد منهجية واضحة يسترشد بها من تتوافر فيهم المؤهلات والإمكانات والمزاج والوقت لذلك . وقد تحققت على مدى العقود الستة الماضية منهجية شبه متكاملة لوضع المصطلحات (*) ألخص بعض بنودها المهمة في ما يلي :

١- هناك شبه إجماع على تفضيل المصطلحات العربية المتحراة من التراث التي تؤدي مدلول اللفظ الأجنبي أو تقاربه - مثل :

أبهر مقابل aorta وإثار مقابل brassiere وبريد مقابل post وبوتقة مقابل crucible وتذريب مقابل toilet traiming وساتل مقابل satellite وفرجار مقابل compasses وكثافة مقابل density وجبلة مقابل cytoplasm وهيولي مقابل protoplasm وغيرها كثير .

وهناك من يجتهدون ، وأنا أؤيدهم ، باعتبار العاميات الشائعة في كثرة من البلاد العربية ، جزءا من التراث يسهم في تقديم مصطلحات تتوافر فيها متطلبات الدقة والتعبير ، مثل :

برغي وصمولة وترس وشتلة وصوبا وعتلة ومدماك وخابور وزردية وسنبك وصاج وتشحيم وتشوير وحوض ومكوك . وغيرها كثير .

٢- باب المجاز واسع في وضع ألفاظ تُمدُّ اللغة بمصطلحات مجددة تستجيب لمتطلبات الحياة المتجددة . العرب عرفوا المجاز بأنه ما تجاوز معناه الأصلي إلى غيره بقرينة مباشرة أو غير مباشرة تدل على ذلك. مثلا ، نقلوا مفهوم "الفصاحة"

(*) انظر الملحق المرفق تاليا ص ١٦ .

كميزة للبن الذي أزيل رغوه وبقي خالصه ، إلى مفهوم حسن الكلام وجودته؛ونقلوا مفهوم الشك من الوخز بشيء دقيق كالشوكة يؤلم الجسد ، إلى مفهوم الحيرة والشك وعدم اليقين مما يؤلم النفس والعقل .

ونحن اليوم لا نفهم البريد مسافة بين منزلين من منازل الطريق ،ولا الهاتف صوتا يسمع دون أن يرى صاحبه ،ولا العدسة حبة عدس ، ولا السيارة قافلة.

فالذهن يحملها على المعنى الجديد الذي اكتسبته اللفظة المصطلحة مجازيا ، فلازمها ولازمته . ومثلها طيف ودراجة ومصرف ودبابة ومُكثف (في الحرارة والكهرباء) وسلبية (في التصوير والجبر والسياسة) ولسان (في النجارة والجغرافيا) - وغيرها كثير .

والمجاز رغم كونه مرغوبا فيه أحيانا ، فهو في مجال توليد المصطلحات محدود من حيث إمكانية التوسع في استخدامه ، ومن حيث إمكانية التوافق بين أذواق المصطلحين في ارتجاله ، (ولعل بعضنا يذكر المسرة والإرزيز والسفير والندي ثم الهاتف - للتليفون) ؛ وهو أيضًا محدود من حيث طول فترة عملية الغربلة للاستقرار على واحد من هذه المجازات - إذ استغرقت فترة الاستقرار على لفظة هاتف، لتنافس (لا لتطمس) لفظة تليفون، قرابة نصف قرن .

٣- الاشتقاق هو الوسيلة الأفعل في توليد المصطلحات قديما وحديثا - والذين يعتمدون الإحصاءات يُقدرون أن الاشتقاق في العربية قرابة ٩٥% من مصطلحاتها .ولا غرابة ، فإمكانات الاشتقاق في العربية تفوق الحصر . فنحن نعرف منها للفعل الواحد خمسة عشر صيغة هي :

فعل وأفعل وفعل وفاعل واستفعل وافعل وافعال وافعوعل وافعول وانفعل وافتعل وتفعل وتفاعل وفعلل وتفعلل .

ومن كل صيغة من هذه ، يمكن اشتقاق مصادر بأوزان متعددة مثل :

فعل ومفعل وفعول ومفعولية ومفعالية ومفعلية ؛واسم آلة بأوزان متعددة: مِفعل ومفعَلة ومفعال وفاعول وفعالة وفاعولة؛بالإضافة إلى اسم الفاعل واسم

المفعـول واسم المرة واسم الزمان واسم المكان واسم التفضيل واسم المهنة ؛ عدا عشرات الأوزان اللامصنفة في اللغة مثل : فعـل (سِجلّ) وتفعال (تمثال) وفعْوَل (معول) وفُعْل (عُشْر) وفَعَلان (جَيَشان) وفُعلة (نُتفة) ومَفعـلان(مَـزلقان) وفُعال(صُداع) وفَعَل(رَمَد) وفُعالة(حُثالة) ومُفَيْعلة(مُصَيطبة) ومفَيعِل(مُغيزِل) . وغيرها . بحيث لن يقل عدد الألفاظ التي يُمكنُ اشتقاقُها من كُلّ فِعل عن مِئتين ، وقد يزيد على الثلاثمائة - لا نستخدم منها عادة بشكل فاعل أكثر من ثلاثين .

هـذا إضـافة إلى الاشتقاقات الإلصاقية بالهمـز أو التضعيف أو ألف المشاركة أو يـاء النسـبة وللتأكيد على مدى فاعلية الاشتقاق في توليد المصطلحات استشهد بدراسـة إحصـائية للدكتور وجيه عبد الرحمن على ٣٠ ألف مصطلح في معاجم الطب والتشريح لاحظ فيها أن توليد هذه المصطلحات كلها تم بالاشتقاق من ١٥٠ جذرا لغويا فقط،إضافة إلى أعضاء الجسم.

٤- ومـن وسائل توليد المصطلحات ، وهو نادر ، النحت . وهو أن يختصر من كلمـتين أو أكثر من كلمة واحدة ؛ ولا يشـترط فيه حفظ الكلمة الأولى بتمامها بالاسـتقراء ، ولا الأخذ بكل الكلمات ولا موافقـة الحركات والسكنات - كما في شـبيهات فعلـل : مـن مثل بَسْمَل وحَوقَـل وفذْلـك - قديمًـا ، وبرمائي وشـبغروي وكهرضوئي وبتروكيماوي وكهرمغنيطي؛ وكذلك مُشاكهة وحَلْمأة، حديثا .

لكـنَّ السـليقة العربية ، وكأنها لم تستسـغْ هذه التراكيب ، لم تتقبل الكثير مـن هـذه المنحوتات . ويقدرون أن ما قدمه النحتُ من المصطلحات الناجحة لا يتجاوز ٠,٠٥٪ .

ولعلّـنا نزيدُ هذه النسبة إذا اعتبرنا التركيـب المـزجي بالإلصاقات المنفصلة ضـربا مـن النحت ، في مثل لاسلكي ولاأخلاقي ولاشعوري ولاأدرية، أو فوق سمعـي وفـوق بنفسـجي وتحت تُربي وماورائي وأمثالها .

٥ - أما إذا تعذر وضع لفظ عربي سليم مناسـب يؤدي مفهوم المصطلح الأجنبي بأي من الوسائل السالفة - لا تقصيا من

التراث ، ولا مجازا أو اشتقاقا - وهو واقع لا يستطيع العارف بآفاق العلم إنكاره ، فيعمد إلى التعريب - بخاصة في المصطلحات ذات الصبغة العالمية أو ذات الأصل اليوناني أو اللاتيني أو أسماء العلماء المستعملة مصطلحات ، أو العناصر والمركّبات الكيماوية .

هذا التعريب ، أو ما وَصَفْنَاه سالفا بالتعريب الاقتراضي ، لم يُرهب العُلماء العرب قديما في لُغى أهل العلم. فالذي يراجع كتب المفردات ، يجدُ - كما يُخبرنا الباحث الدكتور إبراهيم بن مراد رئيس جمعية المعجمية العربية بتونس حاليا، أن نسبة الألفاظ المعربة في كتاب "الجامع لابن البيطار" تؤلف ٤٦% من مُفرداته، وفي "كتاب الأدوية المفردة لأبي جعفر الغافقي" حوالي ٦٥% . أولئك العلماء لم يخلطوا بين ما هو من صلب اللغة ، أو ما يتوقعون صيرورته من صلب اللغة - كون أهل اللغة كُلّهم يشتركون فيه،وبين ما هو لغة لأهل العلم خاصةً -. فعربوا ببالغ الحرص والانتقائية في الأول ، حتى لتكاد تَغْفُلُ عن كونه مُعرَّبا ، من مثل أستاذ وإبريق وبخور ودواة وزُلال وسيف وصراط وقلم وقفص وقنديل وكوفية ومسك ونَرجس ويَم وغيرها كثير- في حين عربوا بلا تحفظ في الآخر،من مثل: أنولوطيقا وغنطازيا واسطقس وأرثماطيقا وجيومطري وكتيغورياس (في الرياضيات والطب).

وبوريطس ومرقشيتا وبطراليون وخلقيدون (في الكيمياء).

وبريطون وقولون وبنقراس ومساريقي (في الطب).

وإطريفل وقنطريون وطرخشقون وفربيون وبوغلصن (في النبات) .

وبطلينوس وقبيون وطرستوج (في الحيوان) وغيرها كثير .

وقد نسج رواد النهضة الحديثة في غالبيتهم على منوال القدماء في توليد المصطلحات . فعربوا ترجمة ، المصطلحات التي يحتاجُ فهمُها وفَهْمُ مدلولها العلمي إلى فَهم أصلها ومعناها اللغوي - بخاصة تلك المصطحات التي تفرضُ نفسها على التداول الشعبي ، لا في مجالات العلم فقط ، بل في مختلفِ مجالات

الحياة أيضًا - من قبيل :

ذرة مقابل atom وجزيء مقابل molecule وقدرة مقابل power وطاقة مقابل energy ومناعة مقابل immunity ... إلخ .

وعربوا اقتراضيا ، في جوٍّ من الاعتراضات يخفتُ حينا ويشتدُّ حينا ، في ما سوى ذلك من أسماء كيماويات جديدةٍ وأسماء أجناسٍ وأنواعٍ ومصطلحاتٍ عالية التخصص في الهندسة والكهرباء والإلكترونيات ؛ وكُلٌّ فئةٍ من هذه ، كما لا تجهلون ، تُعَدُّ بالملايين .

والجدير بالذّكر أنّ ضهذه الملايين من الألفاظ لا يدخُلُ منها عادةً إلى صُلْب أي لُغةٍ إلا القليلُ القليلُ مما يشيعُ استخدامُه في الحياة اليوميَّة . والشاهدُ على ذلك أنَّ معجم وِبْستَر الدولي الثالث الذي يستغرقُ اللغة الإنكليزية في قرابة نِصْفِ مليون مدخلٍ لا يُوردُ من ملايين هذه المصطلحات المتخصصة سوى بِضعَةِ آلاف.

نحنُ مثلا لا نستوعبُ معنى immunity إلا بمصطلح "مَناعة" - المقابل العربي الذي نفهمُ مدلوله من معناه ، كما لا نفهمُ impedance دون المقابل العربي " مُعاوقة" ، ولا نستوعبُ أسرارَ الـ gravity دون المقابل العربي "جاذِبية " .

لكننا لا نحتاجُ إلى مصطلحٍ عربي كالمصدئ، لمعرفة الأكسجين ،

(١) أو المميه لمعرفة الهدروجين

(٢) أو الطاسل لمعرفة الإيثان

(٣) أو الجائل لمعرفة البيوتان

(٤) أو المقرم ، لمعرفة اليود

(٥) أو الشذام ، لمعرفة الصوديوم

(٦) أو الضواء ، لمعرفة المغنسيوم

(٧) أو الخطوط لمعرفة الغرافيت

ولا حتى المحوز لمعرفة الترانزستور ، أو عِلم الهلك لمعرفة الجيولوجية أو المشواف لمعرفة التلفزيون - وهي مُصطلحاتُ خَلَّقَها الصَّفاويّون المتحمِّسون عاطِفيا لجلال اللغة الموهوم في مُحاولاتٍ لتحميل التعريب،ترجمة، ما يتجاوزُ إمكانياته. فلم يأتوا بأكثر من ألفاظ ساذجة ضبابية - رُبما عربيةُ الجرس،لكنها خاويةُ المعنى،وغالبا ما تكونُ مضللة بعيدة عن الدقة العلمية .

والذين يطلبون التعريبَ الشاملَ ترجمة ، ويعارضونه اقتراضا ، إنما يطلبون

مــا هو غيرُ عملي وغير مُستطاع - لا في اللغــة العربية ولا في سواها . وهم ، من حيــثُ لا يَــدرون ، يُسهمون في عَرقلة مســيرةِ الفكــر العــربي والعلمِ العربي والإبداع العربي ، ويُعطونَ أعداءَ العربية حُجــة مُســتمِرَّة التجددِ لإعاقة تعريب التعلــيم بانتظار أن تتوافر له المصطلحاتُ وتتكامل .

ولــيسَ بالضــرورة في التعريــب الاقتراضــي هــذا إلزامُ المصطَلَح المعَرَّبِ بــالأوزان العربية وقصرُه على الحُروف الموجــودَةِ في العربــية . فتغــييرُ الكلمة الأجنبــية قد يفسدُ نظامَها ويُخلُّ بمعناها ومدلولها فتغدو غريبة - لا فصيحة تُردُّ إلى أصــل عربي ، ولا أجنبية يتجلى لها وجه في لُغــتها الأصلية - فيضيعُ الغرضُ الذي لأجلــه عُربَــت . ولا أستغربُ أن اتَّفَقَ عُــلماءُ العَــرب القُدامى والمحدَثين على ذلــك- من سيبَويه وابن بَرّي وأبو حَيان وعبد القادر البغدادي إلى إبراهيم مدكور وعباس حسن وصبحي الصالح .

فمثلاً كثرة من المسَمَّيات المعَرَّبة تَبدأ بالســاكن مثل غُرافيت وتُرايود وبروتون وكْلــور وسْبكتروسكوب ، أو من أسماءِ الأشــخاص ، سْميث وجْيوفاني وبْراون وفْلمنغ ...

إنَّ إضافة الألف التي يَزيدُها بعضُهم، أو تحــريكَ الحرفِ نفسه هما تَحريفٌ لا مُسَوِّغَ له يُبعدُ منطوقَ اللفظ عن مُسَمّاه. فَــ Brown مثلاً هو بْراون - لا إبراون ولا بُراون ولا بِراون أو بَراون .

كذلــك لا نُلــزِمُ المســمَّى المعرب بقــاعدة عــدم التقاء الساكنين - سواء اقتصــر الأمر على ساكنين اثنين أو عدة ســواكن - فنقول رُنْتجِن وباوندْ وبُويْلْ وشارْلْ وكِنغْسْتون.

والذيــن يُعربون قصرًا على الحروف العربــية ، كثيرًا ما يُخلُّونَ بمعنى المصطَلَح المعَــرَّب ومَدلولِــه . وهــذا يَطالُ غالبا الأحرف ب (P) - فيُستبدَل به ت ، وف (V) فيُســتبدَل بــه حرف ف ، و جــ (اللامُعَطَّش) معطش (g) فيستبدل به جــ أو غ، وهذا يتنافى أحياناً مع الدقة العلمية - وإلا كــيف يُمــيِّزُ عُلَماؤنا في الطب والفــيزياء والكيمياء مثلا بين بيتا (beta) الإغريقية في مُشتَقّاتها المتعَدِّدة مُقابلَ ألفا

وغامـــا ، وبـــين – peta التي تعني ١٠ ^١٥^ ومُشـــتَقّاتها المتعدِّدة ؟ أو بين barotitis داء الأذن الوســـطى وبـــين parotitis التهاب النكفية ، أو بين بورون (التي هكذا عربها المعجم الطبـــي الموحَّد مُقابل purone أحد مُشـــتَقّات حامض اليُوريك وبين العُنصر المعروف البورون boron ، أو بين كريبس krebs العـــالم الألمـــاني وكريـــبس Cripps السياسي البريطاني ، أو بين فار بمعنى فلط أمـــبير مفاعلي (اشتقاقا من volt-amperes reactive) وبـــين فار mouse ، أو بين فانيلا vanilla وفانيلا flannel ... أو بين ستيفنسون مخـــترع القاطرة وستيفنسون المرتبط اسمه بـــآلات الرصـــد الجوي ... إلخ . ومثلها فيـــتامين وأمـــبير وفازلين وجول وفلط (والواقع أن رجل الشارع يلفظها هكذا). واقرأوا ما يجره ذلك من مفارقات في أحد معاجمنا العربية حيث يفسر اللفظ غرام بما يـــلي : الغـــرام : الولوع والحب المعذب والهلاك ، ووحدة الوزن في طريقة القياس المتري .

وألفـــتُ كذلـــك إلى ضرورة إيجاد وسيلة خطية لرقن حرفي الواو والياء كي يُلفظـــا بالشـــكل الصحيح في المسميات المعربة – فنميز بذلك بين لفظ الواو رقيقة في مثل جول Joule وبول Boole وكوري Curie ، وبـــين لفظها مفخمة في تور Torr وهول Hall وبور Bohr وبول Paul . كما نمـــيز بـــين لفظ الياء نحيلة في بيرد Beard وجـــين Jane وويفـــر Waver . ولا أنسى قائمة المركبات العُضوية الطويلة جدًا التي اضطررنا إلى لفظها بالألف ، فرنسيا ، في ميـــثان methane وإيـــثان ethane وبروبان propane وبـــيوتان وبنـــتان ... الخ ، لكي نمـــيزها عـــن إخوتها اللامشبعة في ميثين methene وإيثين ethene وبروبين وبيوتين ...الخ بهـــذه المعطيات في المجالات العلمية تصبح أبجديتـــنا ، وبالـــتالي لغتنا ، قادرة على استيعاب المسميات العلمية على اختلافها بصورة مؤدية لعلها تفوق قدرة الكثير من اللغات العالمية في هذا السياق .

ملحق المبادئ الأساسية في منهجية وضع واختيار المصطلحات العلمية :

١- ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشـــابهة بين مدلول المصطلح اللغـــوي ومدلوله الاصطلاحي ،

ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي .

٢- وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ، ذي المضمون الواحد، في الحقل الواحد .

٣- تَجنُّبُ تعددِ الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد ، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك .

٤- استقراء وإحياء التراث العربي ، وخاصة ما استعمل منه أو ما استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث، وما ورد فيه من ألفاظ مُعَرَّبة .

٥- مُسايِرةُ المنهج الدولي في اختيار المصطلحات العلمية :

أ- مراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعالمية لتسهيل المقابلة بينهما للمشتغلين بالعلم ودارسيه.

ب- اعتماد التصنيف العشري الدولي لتصنيف المصطلحات حسب حقولها وفروعها .

ت- تقسيم المفاهيم واستكمالُها وتحديدَها وتعريفها وترتيبها حسب كُلِّ حقل .

ث- اشتراك المختصين المنتجين والمستهلكين في وضع المصطلحات.

ج- مواصلة البحوث والدراسات ليتيسر الاتصال على الدوام بين واضعي المصطلحات ومستعمليها.

٦- استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقا للترتيب التالي : التراث فالتوليد (بما فيه من مجازٍ واشتقاق وتعريب ونحت).

٧- تفضيلُ الكلمات العربية الفصيحة المتواترة على الكلمات المعربة .

٨- تجنب الكلمات العامية إلا عند الاقتضاء بشرط أن تكون مشتركة بين لهجات عربية عديدة ، وأن يشار إلى عاميتها بأن توضع بين قوسين مثلا .

٩- تفضيلُ الصيغة الجزْلة الواضحة وتجنب النافرِ والمحظور من الألفاظ.

١٠- تفضيلُ الكلمة التي تَسمحُ بالاشتقاقِ على الكلمة التي لا تسمحُ به .

١١- تفضيل الكلمة المفردة لأنها تساعد على تسهيل الاشتقاق والنسبة والإضافة والتثنية والجمع .

١٢- تفضيلُ الكلمة الدقيقة على الكلمة العامة أو المبْهَمة ، ومراعاةُ اتفاق المصطلح العربي مع المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي ، دون تقيُّد بالدلالة اللفظية للمصطلح الأجنبي.

١٣- في حالة المترادفات، أو القريبة من الترادف ، تُفضَّلُ اللفظةُ التي يوحي جذرها بالمفهوم الأصلي بصفة أوضح .

١٤- تفضل الكلمة الشائعة على الكلمة النادرة أو الغريبة إلا إذا التبس معنى المصطلح العلمي بالمعنى الشائع المتداول لتلك الكلمة .

١٥- عند وجود ألفاظ مترادفة أو متقاربة في مدلولها ، ينبغي تحديد الدلالة العلمية الدقيقة لكل واحد منها ، وانتقاء اللفظ العلمي الذي يقابلها . ويحسن عند انتقاء مصطلحات من هذا النوع أن تُجمع كُلُّ الألفاظ ذاتِ المعاني القريبة أو المتشابهة الدلالة وتُعالج كلها كمجموعة واحدة مثلا ، في مفهوم المضادة الكهربائية على اختلافها ، لدينا من المصطلحات الإنكليزية المتقاربة واللامترادفة : impedance و inertance و reluctance و resistance فنقول فيها على التوالي: مُعاوقة ومقاصرة ومُمانَعَة ومقاومة.

١٦- مراعاة ما اتفق المختصون على استعماله من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بهم ، معربة كانت أو مترجمة .

١٧- التعريب عند الحاجة وخاصة المصطلحات ذات الصيغة العالمية- كالألفاظ ذات الأصل اليوناني أو اللاتيني أو أسماء العلماء المستعملة مُصطلحات ، أو العناصر والمركبات الكيماوية .

١٨- عند تعريب الألفاظ الأجنبية يراعى ما يأتي :

أ- ترجيحُ ما سهل نطقه في رسْم الألفاظ المعربة عند اختلاف نطقها في اللغات الأجنبية .

ب- التغيير في شكله ، حتى يصبح موافقا للصيغة العربية ومستساغًا.

جـ- اعتبار المصطلح المعرب عربيا، يخضع لقواعد اللغة العربية ويجوز فيه الاشتقاق والنحت وتستخدم فيه أدوات البدء والإلحاق ، مع موافقته للصيغة العربية .

د - تصويب الكلمات العربية التي حرفتها اللغات الأجنبية واستعمالها باعتماد أصلها الفصيح.

هـ- ضبط المصطلحات عامة والمعرب منها خاصة بالشكل حرصًا على صحة نطقه ودقة أدائه .

المنهجية والتطبيق وسُبُل الانتشار بهدف مواجهة مُصطلحية ناجحة لمشاكل العربية مع "اللغات" العلمية .

إن تطبيق المنهجية في مجال توليد المصطلحات العلمية الجديدة ، هو دون شك ، أحد مستلزمات المجابهة الناجحة للمشكلات التي تواجه اللغة العربية في تقبل تلك المصطلحات . والواقع أن تحقيق ذلك التطبيق وتلك المجابهة يتطلب دراية مُعَمَّقة لا يسهُلُ عمليًّا إعطاءُ وَصفة مُحددة لها .

يقال إن أحدهم سأل ألْدوس هَكْسْلي: بماذا تنصحُ من يريدُ أن يصبحَ كاتبا؟ فأطرق هكسلي ، وكأنه فوجئ بالسؤال؛ ثم تصنَّع الجدية وقال : يشتري قلما وورقا وقنينة حبر .

ويبدو لي ، مع الأسف ، مما أشهدُه ، بحكم عملي ، من النتاج المصطلحي على مختلف مصادره في العالم العربي ، أنَّ عددا لا يُستَهانُ به ممن يُحاولون "خدمة" العربية في هذا المجال لا يضيفون إلى "وَصْفة" هَكْسلي أكثر من " وبْضعَة قواميس" . وقد سبَق لي في ندوات ومؤتمرات ومقالات عدَّة أن قدمتُ أمثلة مُسهَبةً على تلك الأعمال - أعتقد أن بعضكم قد اطِلع عليها ، وأن بعضا منها على الأقل موجود في مكتبة مجمعنا هنا كما في ملفات الكثيرين ممن يهمهم

الأمـــر. ولا أرى المقام مناسبًا ولا الوقتَ مُتسعًا لإيراد المزيد منها.

الذي أريدُ تكراره رغم أنكُم تعرفونه بخـــبرتكم الشخصية ، ورغم تكراره على ألســـنة وأقلام الكثيرين بتعابير قد تختلفُ شـــكلا ولكـــنها تـــتفق مضـــمونا منذ مواصفات الجاحظ للمترجم الناجح ، هو أن أساســـياتِ العمـــل المصطلحي ، قبل الـــورق والقـــلم وبضعة القواميس - هي معرفة كاملة بالموضوع لدى القائم بترجمة مادتـــه أو وضـــع مُصطلحاته ، ثم معرفة كاملـــة باللغتين اللتين ينقل عن إحداهُما ويصطلحُ مُترجما في ثانيتهما - إضافة إلى دراســـة منظمة لما لدينا من مصطلحات تُراثية وعصريةٍ مُوثقةٍ حتى في غير مجالات حقلـــه ، والـــتعرف إلى المشـــهور منها واستيعابه واكتناه قواعد ووسائل اشتقاقه، والتدريـــب على تطبيقات مرجعية تقانية قبل ممارسة صياغة المصطلحات فعلا، لقد أضـــحى علمُ المصطلح اليوم، كما سائرُ المهارات ذات المسؤولية ، دراسة تخصصية تتطلـــب ، حـــتى فوق كل ما أسلفتُ ، قابلـــية شخصية ومُرونة لُغَوِّية وسَعَة أُفقٍ وصبرا وأناة وحبا عميقا للغة التي يصطلح فيها .

لقد عرفت العربيةُ مصطلحيين أفذاذا تحققت فيهم هذه المواصفاتُ والخصائصُ الذاتية والمكتسبة - علما ومنهجية وقابلية، فأثْـــرَوا اللغةَ بأعمالهم ، من أمثال رفاعة الطهطـــاوي وعمـــر التونسي وإبراهيم الـــيازجي وبطرُس البستاني وأحمد فارس الشـــدياق وكرنيلـــيوس فانْدَيك وخليل ســـعادة وأحمـــد عيســـى وثلاثي معجم كليرفـــيل - الخياط وخاطر والكواكبي - ويعقـــوب صـــروف والأمـــير مصطفى الشهابي وغيرهم ممن تعرفون .

لكـــنا بحاجة ، لا إلى أفرادٍ من مثل هـــؤلاء ، يبرزون على فتراتٍ وفي بعض ميادين فقط - بل إلى كتائب فاعلة منهم في كُـــلِّ مـــيدان - عُدَّة آنية ومُستقبلية لـــلحاق بالركْـــبِ الحضاري المتسارع ومواكبـــته . والسبيلُ العملي لإعداد مثل هـــؤلاء لعله ما كان ، ولا يزال مطبقا في الكليات العلمية في ما كان يُدعى الاتحاد الســـوفيتي حيـــث يَـــدْرسُ الطلابُ من مُختلف القوميات مختلف الاختصاصات

العليا باللغة الروسية ويُدمجُ تعليمُ الموضوع العلمي أو التقني ، للمُتخرجِ في مهنةٍ ، مع تدريبه على العمل في الوقت ذاته كمترجمٍ ومُصطلحي في حقل تخصُّصه . ويُشترْطُ فيه عند التخرُّج كتابةُ أطروحته بلُغته القومية التي ستكون لغة الممارسة في بلده تاليا .

إن ما قامت به بعضُ الجامعاتِ في العالم العربي من استحداثِ مساقات للترجمة التقليدية لم يعُدْ كافيا اليوم . وأذكُر أن الزميل الموقر في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، رئيسنا في مجمع اللغة العربية الأردني الدكتور عبد الكريم خليفة، اقترح أكثر من مرة أن تقوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بإنشاء جامعة للمصطلحات يؤمها حاملو الدبلومات العرب من مختلف أقطار العالم العربي في مختلف الاختصاصات . وفيها يتثقفون بالاطلاع والممارسة في مجال المصطلح عموما ، ثم كل فريق في متطلبات وتراث اختصاصه ، ويتخرج واحدهم خبيرا مصطلحيا يظل على اتصال بجامعته والزملاء الآخرين في مجال اختصاصه ، وتتبادلُه جامعتُه مع زملائه في الجامعات الأخرى . فنضْمَنُ لهم وبهم الخبرة والتواصُل والمصطلح الجيد الموَحّد .

ترويج المصطلحات :

أول وآخرُ سُبُل ترويج المصطلحاتِ العلمية العربية هو وَضْعُها في مُتناوَلِ أهلها وطالبيها . وأبسط قواعد الترويج المعروفة وألزمُها هو كَونُ الشيء مطلوبا أو جعله، بالوسائل الترويجية العملية والنفسانية ، مطلوبا . ولن يتحققَ هذا مطلقًا ما دامت العلومُ الحديثة الأساسية في مختلف مجالاتها تُدرَّسُ بلُغةٍ أجنبية .

يا سادتي ، المصطلح العلمي والأكاديمي يُعَمَّم وينتشر في الجامعات والمعاهد والحياة الثقافية عموما بتعريب التعليم . لقد تطرقتُ إلى هذا الأمر في بداية حديثي ، واسمحوا لي هنا أن أُضيفَ بضعَ كلماتٍ تطالُ هذا الموضوع من الجانب النفساني .

إن الشاب العربي - الطالب اليوم والمثقف غدا ، الذي يرى المواد الرئيسية تدرس بلغة أجنبية ، وأنه يتقدم للإمتحانات الحاسمة في مصيره بها ، يتأصل

في قـــرارة نفســـه - شئنا أم أبينا - دونية العربية في المرتبة عن اللغة الأجنبية . وهذا الموقف للأسف ، لا يقتصر على الطالب وحده بل إنه يتاصل في لا وعي الأهل في الكثير الكثير من الحالات - وأحيانا حتى في لاوعي الأساتذة والمسؤولين .

إن الاســـتمرار في تدريـــس العلوم والمـــواد الرئيســـية الأخـــرى في مختلف جامعاتنا والكثير من مدارسنا بلغة أجنبية، هو إذلال ، لا للغة العربية والمصطلحات العربـــية فقـــط ، بـــل للشخصية العربية والمعنويات العربية . إن رفع هذا الحصار والإذلال عن اللغة العربية منطلق ضروري وأساســـي في تـــرويج المصـــطلحات وانتشارها واستخدامها .

كمـــا إن وسائل الإعلام يُمكنُ أن تُســـهمَ عـــلى نطـــاقٍ واســـع في نشر المصـــطلحات ، بخاصة ما له علاقة بأمور الحـــياة اليومـــية وما أكثرها ! فالجريدة الـــناجحة تـــوزع في يـــوم ، كما المجلة الـــرائجة، في أسبوع أكثر مما يوزع من كتـــب علمـــية أو أدب علمي في عام . والبرامج الإذاعية والتلفزيونية تبث إلى الناس طوال ساعات اليوم .

إن وسائل الإعلام ، للأسف ، كما تعرفون ، لا تستخدم استحداما مفيدا أو منتجا في الوطن العربي - بخاصة في المجال العـــلمي ؛ فهي إلى المتعة أقرب منها إلى الفائدة ، وإلى إضاعة الوقت أكثر منها إلى الاســـتفادة مس الوقت ، وهي إلى العمل السياســـي أدنى مـــنها إلى العمل العلمي الـــدؤوب . ويقـــيني أنه لو توفر لوسائل الإعـــلام - والصـــحافة بخاصة أن تطعم بالصحافيين - العلماء منهم والمصطلحيين، فإنها ستكون من أهم وأفعل وسائل نشر المصـــطلح وتوحيده . ولا مثل أدل على ذلـــك من المقتطف أيام ضم فريق العمل فـــيها أمثال يعقوب صروف وفارس نمر وأنستاس الكرملي وشبلي الشميل .

والمعاجمُ الثنائية الجيدة الموثقة كانت وتظـــل إحـــدى أفعـــل السبل في نشر المصـــطلح وتوحيده . فالمعجم الجيد في موضـــوع هو السفير الأنشط والأفعل في نشر وتوحيد مصطلحات ذلك الموضوع - فهـــو محطـــة اليد والفكر الأولى حين يواجه الطالب أو المثقف أو الصحافي أو

الإعلامي أو المحاضر أو المؤلف مصطلحا لمفهوم بلغة أجنبية ويريد استيعابه في حصيلته اللغوية ، أو في مناقشاته ودراساته ومقالاته ومحاضراته ومؤلفاته .

لقد لحظنا هذا الأثر جليا خلال ثلث القرن الماضي إثر صدور بضعة من هذه المعاجم التي ربما تعرفون في الطب والعسكريات والمصطلحات العلمية والفنية والهندسية ومصطلحات الحوسبة والحواسيب. وهنا أيضا أرى دورا مهما لجامعة المصطلحات التي أشرت إليها سالفا في مجال معاجم المصطلحات العلمية من حيث توثيقها وتنسيقها ومتابعة تحديثها.

وأخيرا وليس آخرا ، ونحن في عهد الحواسيب والمكانز وبنوك المعلومات وشبكات المعلومات المختلفة ، حبذا لو أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بالتعاون مع اتحاد المجامع واتحاد الجامعات العربية ، تعمل على تفعيل وتنشيط شبكة عربية للإعلام المصطلحي لهدف الإعلام عن النشاط المصطلحي العربي وإتاحة تواصله بين المتعاملين به بأيسر الطرق وأقل التكاليف ، وإقامة علاقات متبادلة بين هذه الشبكة والمؤسسات المصطلحية الدولية عن طريق شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) أو سواها والاستعانة بما لديهم من خبرة وخبراء مما يمكن الإفادة منه في مجال توحيد المصطلح العربي ونشره . فمن خلال مثل هذه الشبكة الشاملة سيتسنى لنا بشكل أوفر مجاراة النشاط المصطلحي العالمي - وضعا وتوثيقا وتنسيقا وتوزيعا ومعجمة وتحديثا متواليا . وستكون هذه الشبكة مفتاحا إلى آفاق أوسع - لا آفاق نقل التكنولوجية ومصطلحاتها ومعارفها فقط،بل آفاق الإبداع المعرفي والتقاني الذي سيجعلنا من صانعي العلم ، ويجعل من بعض مصطلحاتنا ، مستقبلا ، مصطلحات دولية - وهو أمر سبق لنا أن حققناه.

وقبل أن أختم هذه الأفكار غير الجديدة ، على معظمكم ، أود التأكيد أن قولنا بتعريب التعليم لا يعني بحال من الأحوال حربا على اللغة الأجنبية ، بل على العكس - فالتعريب ، وبخاصة تعريب العلوم ، يفترض استمرارية التواصل باللغات الأجنبية على الطلاب كما على

الأساتذة.فلا أحد يجهل البون الشاسع بين ما وصلت إليه علوم الحضارة الحديثة وتقاناتها وما استوعبناه منها نحن حتى اليوم.

فكما يفترض التعريب أن يمارس المهندسون أو الأطباء أو الزراعيون أو . الصيادلة أو سواهم ، مهنهم على الناس وللناس ، باللغة القومية - رابطتهم بهم ووسيلة تفاهمهم معهم ، فإن مستقبل مسيرة التعريب ونجاحها المستمر يتطلبان أن يكون المهندس أو الطبيب أو الخبير الزراعي ضليعا بلغة أجنبية يتواصل فيها وبها مع العلماء أو مع منجزاتهم لمتابعة الركب العلمي في تخصصه ، والوقوف على آخر ما توصل إليه زملاؤه في العالم من حوله - فلا تحصل فجوة علمية حضارية بين ما درسه هو كطالب وبين ما تم من تقدم بعد تخرجه كممارس ، ويكون هو في الوقت نفسه مؤهلا لأن يؤدي ما يجد من مسميات علمية في تلك اللغة بمصطلحات عربية سليمة .

مقولتنا بالتعريب ليست ضد تعليم اللغة الأجنبية ، فالحاجة إلى إتقان لغة أجنبية معاصرة هي اليوم مطلب تربوي أساسي لكل مثقف عربي أو غير عربي ، عالم أو غير عالم - إنما الاعتراض المبرر علميا وتربويا ونفسانيا وقوميا هو على إحلال اللغة الأجنبية محل العربية كلغة لتعليم العلوم .

اللغة الإنكليزية هي اليوم حاجة ضرورية يومية للعالم الفرنسي والفنلندي والألماني والروسي والياباني والكوري وأي عالم فيزيائي من أي قومية كان - لكن لا الفرنسيون ولا الكوريون ولا اليابانيون ولا الفنلنديون طرحوا مسألة اعتماد اللغة الإنكليزية في تدريس مواد العلوم في بلادهم.

أنظمتنا السياسية والتربوية الممثلة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم طرحت منذ سنوات شعار :

"العربية لغة العلم عام ٢٠٠٠" لأن التكنولوحية وعلومها لا تنقل بل توطن . ونخشى أن يكون مصير هذا الشعار كغيره من الشعارات التطبيلية التي آن أن نتجاوزها : شكرا لكم

أحمد شفيق الخطيب

عضو المجمع من فلسطين